



## تشكلات الوعي في السيرة الذاتية الشعرية لعيسى حسن الياسري، دراسة في الذات والتجربة

م.د. مسار حميد عبد<sup>1</sup>

<sup>1</sup> وزارة التربية/ المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار/ قسم الاشراف الاختصاصي  
– العراق

[Masar.hameed@utq.edu.iq](mailto:Masar.hameed@utq.edu.iq)

**الملخص.** يُعدّ شعر عيسى حسن الياسري تجسيداً رفيعاً لتداخل الوعي بالكتابة، إذ تتبدّى فيه السيرة الذاتية الشعرية بوصفها بنية فنية تتجاوز التصنيف الأجناسي التقليدي، لتؤسس خطاباً شعرياً يتعالق فيه الذاتي بالجمعي، والرمزي بالواقعي، والإنساني بالكوني. فالقصيدة عند الياسري ليست تدويناً لحياةٍ منتهية، إنما هي إعادة بناء للذات في مرايا اللغة، إذ تتحول الذاكرة إلى بنية دلالية تستحضر الطفولة والمنفى والمكان الجنوبي بوصفها مفاتيح لفهم الهوية والوجود. إنّ الوعي الداخلي في شعره يتجلّى في استبطان الذات ومساءلة الكينونة عبر رموز الطفولة والأمّ والمرأة والطبيعة، بينما يتخذ الوعي الخارجي بعده في تمثّل المكان والواقع السياسي والاجتماعي بوصفه نصّاً مفتوحاً على التوتر والفقد والاغتراب والاحتجاج. أما الوعي النصي فينهض على انزياحات اللغة وتفكيك الثنائيات وتفعيل آلية التكرار والإيقاع بوصفهما وسيلتين لتوليد المعنى ومقاومة الصمت. وبوساطة هذا الوعي المركّب، يتحول شعر الياسري إلى سيرة وجودية تُجسّد معاناة الإنسان المنفيّ والباحث عن خلاصه الجمالي في الكلمات، فيصبح الشعر فعل مقاومة ضد التلاشي، ومجالاً لإحياء ما اندثر من المعنى في عالمٍ مثقلٍ بالخذلان. وهكذا تُقدّم السيرة الشعرية لديه كوثيقة وعي، وفضاء رمزيّ يعيد للذات حضورها وللکلمة دورها في ترميم الوجود.

**الكلمات المفتاحية:** السيرة الذاتية الشعرية، الوعي الشعري، الذاكرة، الاغتراب، المكان، اللغة الشعرية، الانزياح، الهوية، عيسى حسن الياسري.





**Abstract.** The poetry of Isa Hassan Al-Yasiri is a high embodiment of the intersection of consciousness and writing. His poetic autobiography is a artistic structure that transcends traditional genre classification, establishing a poetic discourse that intertwines the individual with the collective, the symbolic with the real, and the human with the universal. In Al-Yasiri's poetry, the poem is not a record of a past life, but a reconstruction of the self through the mirrors of language, where memory becomes a semantic structure that evokes childhood, exile, and the southern place as keys to understanding identity and existence. The internal consciousness in his poetry is manifested in the introspection of the self and the questioning of being through symbols of childhood, motherhood, womanhood, and nature. Meanwhile, the external consciousness takes its dimension in representing place and the political and social reality as an open text on tension, loss, and protest. The textual consciousness is based on the displacement of language, deconstruction of binaries, and activation of repetition and rhythm as means of generating meaning and resisting silence. Through this complex consciousness, Al-Yasiri's poetry becomes an existential biography that embodies the suffering of the exiled human being searching for aesthetic salvation in words. Poetry becomes an act of resistance against oblivion and a space for reviving lost meaning in a world overwhelmed by disappointment. Thus, the poetic autobiography becomes a document of consciousness and a symbolic space that restores the self's presence and the word's role in repairing existence.

**Keywords:** Poetic autobiography, poetic consciousness, memory, alienation, place, poetic language, displacement, identity, Isa Hassan Al-Yasiri.

## المقدمة

إن السيرة الذاتية الشعرية نوع فني يجمع بين كتابة السيرة الذاتية والشعر وإن هذا التداخل والانفتاح بينهما قد سمحت به طبيعة الشعر الحديث المتنافذة على الحقول الأدبية الأخرى ولاسيما التعبيرية بتبادل عوامل التأثير والتأثير بين مختلف الأجناس الأدبية (الخالقاني، 2013، ص. 13)، إذ يروي الشاعر تجاربه الشخصية ومشاعره معتمداً على جماليات الشعر مثل الإيقاع والصور البلاغية ومبتعداً عن





السرد التقليدي باستخدامه اللغة الشعرية لخلق تجربة أكثر تأثيراً بما تحمله من بعد فلسفي ويتأمل الشاعر في ذاته والوجود من حوله فتأتي السيرة الشعرية بطاقة عاطفية أكبر وتقدم التجربة بلغة رمزية تسمح بتعدد التأويلات لتخلق تواصلًا عاطفياً أو فكرياً مع القارئ إذ يجد في النص جزءاً من ذاته وهي بذلك "بمثابة رواية سردية يتدخل فيها الانفعالي بالموضوعي الذي يساعد على اكتشاف حقيقة النص الشعري" (السكر، 1999، ص. 140). وعلم النفس الحديث لا ينظر إلى السيرة نظرة المتلقي الذي يتسلى بأخبار واعترافات شخص ما وأنه بهواجسه الانتهاكية يتقرب سطح الاعترافات بحثاً عن مناطق (الظل) التي لم تتسرب في السيرة (منصور، 1986، ص. 63)..

السيرة الذاتية تعتمد في تشكيل نوعها الأدبي المميز على مادة أولية هي الذكريات وممارسة نشاط تذكري خاص غير اعتباطي ينهض على منهجية معينة تخضعه لضوابط وقوانين محددة وتخرجه من دائرة التذكر المجرد البسيط إلى التذكر الرمزي لـ "تقديم رواية الحياة منظومة شعراً بناءً على تشغيل الذاكرة بأقصى طاقتها" (عبيد، 2012، ص. 897-898). وفي هذه الحالة تصبح الاستعانة بالخيال أمراً ضرورياً للاستعادة الصحيحة المناسبة فالسيرة الذاتية عادةً يتمثل فيها الاحساس المتزايد بالوعي الذاتي وإذا كانت السيرة الذاتية من النمط المنهجي كما هو الحال في السيرة الذاتية الشعرية فإنها ستقوم بعرض الحقائق بوساطة حياة يعاد تشكيلها مع ما يتطلبه ذلك من تحوير أو حذف بوعي أو بدون وعي فالذاكرة تخون بالنسيان غير المتعمد وهي تخدع أيضاً فتخلط الأسماء والأزمان والأماكن (فهيم، 1983، ص. 247). وتتأثر بمرحلة نضجنا الفكري والنفسي لأننا نرى الماضي على غير صورته الموضوعية تلك فنعطيه من خبراتنا الكثير ونكسوه من دربة حاضرننا ومهاراته (منصور، 1986، ص. 63). إذ إن "السيرة الذاتية تقوم في صميمها على تنسيق وقائع منتخبة تنسيقاً خاصاً وصحبها في قالب معين أدبي فني" (أدهم، 1979، ص. 48). فالزمنية التي تعتمدها السيرة الذاتية هنا زمنية متحركة تمارس فعاليتها خارج النسق الزمني (عبيد، 1999، ص. 17)..

إن التعبير عن الأرضية التي ينغرس فيها النص الشعري يأتي في أصله من تأثر الشعراء بعصرهم وبيئته وكل ما يحيط بهم إذ يكشفون عنها ويقفون منها متأملين لطبيعة حساسيتهم تجاه تلك المظاهر وما لها من آثار نفسية تنتج عن ذلك فالشعراء يستطيعون أن يعطوا صورة لواقعهم في حديثهم عن أنفسهم وخواطرهم وخلجاتهم (قطب، د.ت، ص. 91). وهذا الوقوف بحد ذاته على الخصائص النفسية للشعراء واحساسهم تجاه ما يعيشونه واقعاً هو جزء مما يكون ويشكل الوعي الشعري لديهم ليمثل ملمحاً من ملامح وعيهم بذواتهم فإن التغيير في الشعر عادةً يبدأ من مرحلة وعي الذات بذاتها (فتوح، 2006،





ص. 21). مما يجعل تأريخها لمشاعرها واحاسيسها بمثابة تأريخ للواقع وتفاعلها معه وعلاقتها به (أبو عواد، 2010، ص. 49). وهي عملية وإن كانت في حقيقتها معقدة لكنها ضرورية لسيرورة النص الشعري وتأسيسه وفقا لعلاقاته داخل واقعه.

شعر عيسى حسن الياسري الشاعر عيسى حسن الياسري ولد عام ١٩٤٢ في قرية فلاحية جنوب العراق على ضفاف نهر أبو بشوت قرب مدينة الكميت في محافظة ميسان، أكمل دراسته الابتدائية بين مدرسة القرية ومدرسة مدينة الكميت وأكمل دراسته المتوسطة ودار المعلمين في مدينة العمارة عام ١٩٦٣، عمل في التعليم والإذاعة والصحافة الأدبية ما بين ١٩٦٣ - ١٩٩٠ غادر بلده عام ١٩٩٨ ويقيم حاليا في مدينة مونتريال في كندا، صدرت له بين عام ١٩٧٣ - ٢٠١٢ عدد من المجموعات الشعرية، وصدر الجزء الأول والثاني من أعماله الشعرية في مجلد واحد عام ٢٠١٧ عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت ثم صدر المجلد الثالث من الأعمال الشعرية عام 2021 عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت أيضا وصدرت روايته (أيام قرية المحسنة) عن دار فضاءات الأردنية عام 2011، له كتابان مترجمان إلى اللغة الانكليزية هما: كتاب العشب وقد صدر عن دار اولومبيا في لندن وكتاب الأرض البعيدة وهو صادر عن دار اوستن في نيويورك، وكتابان مترجمان الى اللغة الفرنسية وهما كتاب اغاني الغروب صادر عن دار لارماتان في باريس، وكتاب امضي وحيدا صادر عن دار لارماتان، سلسلة شعراء القارات في باريس، كتب مقدمته الشاعر الفرنسي لويس بورتولوم وكتاب مترجم إلى اللغة السويدية بعنوان قارة من غناء، دار نشر سويدية، وثلاثة كتب شعرية مترجمة الى الاسبانية وهي كاندراية بغداد، وصلاة بدائية الى اوروك، وقبل ان تهرب المياه، دور نشر مختلفة في مدريد رواية ايام قرية المحسنة دار نشر بورتولوم في مدريد فضلا عن كتاب سيرة ذاتية بعنوان غيمة عابرة صدرت عن دار لاستورا للنشر في مدريد. يجمع بين الذاكرة الفردية والجماعية بأسلوب متقن، حيث يتداخل الخاص مع العام، والشخصي مع الجمعي، ليشكل لوحة شعرية تنبض بالحنين والانتماء. ذاكرته الفردية تعكس تجربته الذاتية مع الطفولة والمنفى والحنين إلى الماضي والفقدان العاطفي،، بينما ذاكرته الجماعية توثق معاناة شعبه وتراثه الثقافي، هذا المزيج يجعل من شعره تجربة إنسانية فريدة تحثني بالماضي وتناقش الحاضر بالقدر الذي يوفر للشاعر قدرة على وعيها وادراكها وتؤله لصناعة الافكار وانتاجها فإن الكتابة في السيرة الذاتية هي كتابة في تجربة الوعي ومرآة للتجربة الصادقة الحية ونجد هذه الذاكرة غالبًا ما ترتبط بالمكان، سواء كان الوطن أو ذكريات معينة، وتظهر كأرضية للمعاناة والاعتراب في شعره، عندها يصبح الفقدان والتشتت جزءًا من تجربته الشخصية





والجماعية، ويمكن القول إن الشاعر حسن عيسى الياصري استطاع أن يترجم لنا سيرته الذاتية شعرا وعند تحليل قصائده من منظور الوعي (كليب، 1997، ص. 27). الداخلي والخارجي والنصي، نجد أن تجربته الشعرية تتسم بالتوازن بين هذه الأبعاد الثلاثة، مما يمنح قصيدته طابعاً إنسانياً عميقاً وشعرية تمس القلوب بسماتها الأسلوبية ودلالاتها وحساسية تأويلها، ويمكننا تفصيل هذه الأبعاد على النحو التالي:

### أولاً: الهوية والوعي الداخلي:

إن السيرة الشعرية للشاعر عيسى حسن الياصري وهي "مادة سردية كتابية تسرد حياة الشاعر بقلمه" (عبد النور، 1984، ص. 143). تعكس وعيه العميق بالتجربة الإنسانية إذ تعد أول مرتبة في وصول النفس إلى المعنى هي معرفة الذات بذاتها (صليبا، 1982، ج. 1، ص. 703). ناشرا نثار ذكرياته لينقل مشاهد الطفولة، القرية، والحياة الريفية بتفاصيل دقيقة؛ لأن الشاعر في طبيعته يفكر بقلبه المتأمل (غالي، 1998، ص. 208). مما يكشف عن محاولته لفهم ذاته بوساطة العودة إلى الجذور لأرشفة وجوده واستعادة أزمنته المبتورة كحالة شعورية ووجدانية يهرب إليها الشاعر، لا سيما في ظل المعاناة التي واجهها في حياته، الطفولة في شعره ليست فقط ذكريات، فهي رمز للنقاء، البراءة، والبدائيات الأولى التي شكّلت تكوينه النفسي والابداعي وهويته كشاعر إنساني مرتبط بجذوره الجنوبية.

أنا هو من عاش طفولة سعيدة

أنا هو من صافح أعياد الحصاد

وتعطرت ثيابه بطين السواقي

أنا هو البدائي

عندما أمشي تتبعني العصافير

والفراشات تفتح مظلاتها الملونة لتحميني من الشمس

الهواء صديقي..

وعلى ذراع أكوام الحنطة

وتحت ظلال الأشجار الحنونة يحلو نومي (الياصري، 2021، ج. 3، ص. 37)..

إن تاريخ التجربة الروحية -الوجدانية يتأسطر بإعادة كتابته بآلية سحر الطفولة (أنا هو من عاش

طفولة سعيدة) التي يراها الشاعر حياة خالية من الأعباء مليئة بالسعادة والصفاء في جملة خبرية تؤسس





لأننا شعرية متماهية مع الزمن تتحول فيه الذاكرة إلى بنية استعارية لإعادة خلق الذات من جديد حين تلتحم بالطقوس الجمعية (أنا هو من صافح أعياض الحصاد) منسجما مع الطبيعة ليموضع النص تموضعا ثقافيا وتتدفع تعبيريته إلى منطقة السرد الشعري إذ يتكبد قوله لغة الحكاية سائرا في تقليدها (وتعطرت ثيابه بطين السواقي) بإشارة ذكية إلى انتمائه وحنينه إلى الطفولة حيننا انطولوجيا (أنا هو البدائي) وجاء ضمير الفصل ليؤكد استمرارية غير منقطعة لهوية لم تفارق جوهرها رغم التحولات وحتى في استعماله للأفعال في الزمنين الماضي والمضارع ((عاش، صافح، أمشي، تحميني، يحلو...)) يخلق تداخلا زمنيا يجعل من الزمن الشعري زمنا دائريا يؤول بزمن الحنين المؤبد أما الكثافة الحسية العالية أو الاشراقات الجمالية للنص التي تجسدت بالصور (العصافير تتبعني، الفراشات تفتح مظلاتها الملونة، الهواء صديقي، أكوام الحنطة...) كلها تمثل عناصر وصفية تحمل مؤشرات الخاصة بعلاقة وجدانية بين الذات والطبيعة إذ تتحول إلى كائن حي محب لخلق عالم مواز يتواطأ مع الشاعر.

في طفولتي

كانت لي ساقية طيبة

شجرة أستظل بفيئها

مطر ليل أسامره حتى لا ينعس

أناس لطفاء لا يابهون لأخطائي الصغيرة (الياسري، 2021، ج. 2، ص. 57)..

(في طفولتي) عبارة تنتمي إلى زمن الذات الأولى (قبل التشظي) تندمج فيها الأنا الشعرية بأنا السارد الذاتي لافتتاح فضاء حكاوي (كانت لي) لتأتي بعدها بنية دلالية متكاملة للذاكرة الطفولية بوصفها وطنا داخليا إذ يؤنسناها حتى في صمتها ويمنح الأشياء أصواتها الصامتة في كثافة شعورية وجمالية بمنظومة صورية متقابلة تمنح الطفولة معناها الأمن: (الساقية + الماء = الحياة، الشجرة + الظل = الأمان، المطر + الحوار = الرفقة، الناس + القبول = الغفران) ويغيب فيها التوتر أو أي صفة سلبية لتبدأ اللغة الشعرية لعبتها في نغث رذاذها السحري على مرايا الصور، ويعكس الشاعر حنينه إلى الطفولة رغبة عميقة منه بالهروب من قسوة الواقع والعودة إلى زمن كان أكثر دفئا وطمأنينة.

ومن الألفة إلى الغياب ومن أجل صوفية أشد في اللغة وتركيز أعلى في التشكيل المزدان بأفق الطبيعة وسيميائيتها، نجد أن الشاعر كثير ما يستخدم عناصر الطبيعة، مثل: النهر، القصب، والنخيل، لاستحضار طفولته في بيئة الجنوب فتكون الطبيعة هي الخلفية الدائمة لطفولته في قصائده لتتحول إلى أرشيف وجودي تخزن فيه شفرات الهوية الأولى.





ومما سبق نستخلص أن الطفولة في شعر الياسري جاءت رمزا للوطن والهوية المفقودة وبقينا شعريا مضادا للفناء فإن الطفولة ببراءتها وطنا وملادا يلجأ إليه في ظل غربته وبداية جديدة لحياة مشرقة خالية من العناء والتعقيدات بأبعادها الإنسانية المشتركة ومن اللافت للنظر إنه يخاطب الجنوب، الأنهار، الحقول بصيغة أنثوية تعكس علاقة الشاعر بالمكان كعلاقة الطفل بالأم بلغة ذات طابع وجداني يخلو من قناع البلاغة المفتعلة مما يؤلف معجما داخليا متسقا وشفافا.

وهكذا يُعدّ الوعي الداخلي عند شاعرنا نافذة يُطل منها على معاناة الذات بتوظيفه لتأملاته وصراعاته الشخصية واغترابه النفسي في محاولة لاسترداد الذات إذ يظهر الشاعر نفسه في صورة متفتنة وهوية متشظية لاسيما في ظل تجربته مع المنفى، يقول:

يا وجعا لا تسكته كل زهور المنفى

يا ليلا لا تخفف عتمته هذه البحيرات من الضوء

يا أكواخا كلما أبعدت برديها وقصبها

أعادته لي وسادة النوم

وطاولات المقاهي (الياسري، 2021، ج. 2، ص. 60)..

في جمال يفاقم الوجد والاحساس بالاغتراب يبدأ الشاعر بالنداء (يا وجعا) لا يرجو الخلاص منه (لا تسكته كل زهور المنفى) ما يحمله المنفى من جمال ومغريات وفي ثنائية وجودية متناقضة (يا ليلا لا تخفف عتمته هذه البحيرات من الضوء) بين بنية الليل (العتمة الجوهريّة) وبنية الضوء (مباهج المنفى) بمختلف مستوياتها إلا أنها لا تجدي نفعا (لا تخفف عتمته) ليذهب إلى تكريس بنية الاخفاق عبر معرفة الشاعر بذاته (يا أكواخا كلما أبعدت برديها وقصبها) لكنها لا تملك السلطة على النسيان (أعادته لي وسادة النوم) و(طاولات المقاهي) وكأن الذاكرة هنا عدو داخلي لا يهزم وباعتراف ضمني بأن لا شيء في المنفى قادر على أن ينسيه موطنه المهجور بنبرة حزينة هادئة تمثل بلاغة العجز المستسلم وهذا ما يعكس حالة التشظي والقلق الوجودي لدى الشاعر والصراع النفسي بين الثبات والتحول وبين الاستقرار والغياب الذي يصوره الشاعر فالقارئ الذي يغوص في دواوين الشاعر سوف يرصد عددا من الموضوعات التي عبر عنها في قصائده وكلها تنضوي تحت راية وعي الشاعر بواقعه الفردي ومنها الغربة وهي عاطفة تبرز في حالة الابتعاد عن ديار الأحبة وملاعب الصبا فتستولي على المرء كآبة وقلق وجودي ولا سيما الشعراء الذين يشعرون بالبعد عما يهونون (عبد النور، 1984، ص. 186). إذ





يعبر الأديب عن مشاعره في الغربة بمعان وصور وأخيلة تختلف عمقا وجودة باختلاف الشخصية المبتكرة (عبد النور، 1984، ص. 186). بوساطة وعيه الجمالي بمعاناته الذاتية.

التجاعيد غزت القلب

والأحلام تتغضن كجباه قدامى الفلاحين

لماذا اتهم الغرفة بخفوت اضاءتها..؟

أعماقي.. هي التي تعتم مبكرة

كمساء شتائي غائم. (الياسري، 2021، د. ج. 1، ص. 227).

نسق الزمن يتحرك في (التجاعيد غزت قلبي) ويرتفع المحجوب والمصور تخيلا إلى مرتبة الأسطورة (الأحلام تتغضن كجباه قدامى الفلاحين) إذ تتعلق بالغامض القريب (لماذا اتهم الغرفة بخفوت اضاءتها..؟) وعلى الرغم من رهنها بقيد تشبيهي (كمساء شتائي غائم) إلا أنها تنتفس حركته التعبيرية في نسق زمكاني (أعماقي.. هي التي تعتم مبكرة) من أجل نوع من التوازي السوري بين الأنساق المتضادة.

مما يعني أن الاغتراب النفسي والجسدي في شعر عيسى حسن الياسري يشكل محورا أساسيا يعكس تجربة إنسانية عميقة يغطيها الألم والحنين، ويلامس فيها قلوب القراء، إذ يمتزج في شعره الذاتي بالجماعي، في صراع مع هوية مشوهة بفعل النفي، فإن الاغتراب في شعره لم يكن عزلة جسدية، إنما حالة نفسية وروحية معقدة تعبر عن ألم الفقد والحنين إلى الوطن، ويواصل الياسري بث احساسه بضبابية انتمائه وحضوره وأثر الزمن ومجرياته عليه.

ومن الواضح أن الزمن يعد واحدا من أكثر المفاهيم إلحاحا في تجربة شاعرنا فهو فضاء شعري مشحون بالقلق الوجودي والمخاوف إذ يتداخل مع الذاكرة والحنين والموت ليشكل معمارا دلاليا تنكئ عليه التجربة الإبداعية للشاعر وهو القائل:

حين يكون الموت طريقا للأرض

أنقب في ذاكرتي عن أحلى اللحظات المنسية.. والعمر المهمل

فتكون المدية أول من يفتح باب النصل

وأنت.. آخر من تفتح لي عينيها حتى أدخل (الياسري، 2021، ه. ج. 1، ص. 50)..

شبكة دوال الحركة الزمانية والمكانية في المتن (حين يكون الموت طريقا، أنقب في ذاكرتي، أحلى اللحظات المنسية، العمر المهمل، باب النصل، تفتح لي عينيها حتى أدخل) تحتل جزءا كبيرا من





التشكيل اللغوي وتسيّر الكون الشعري للمقطع الذي تحول الموت فيه من فاعلية انفصالية إلى مسار عودة كأن الذات تسير في جنازتها متألمة ذكرياتها ولحظاتها المنسية أو المهمل منها لمواجهة الموت في التتقيب عن الجمال المنسي وتعمل المدية على فتح الباب لتستقبل الموت كأنه احتفال صامت بالفناء عبر بوابات الموت (النصل والمدية) للوصول إلى لحظة المفارقة المكثفة والمركزة (أنت.. آخر من تفتح لي عينيها حتى أدخل) التي تنفي حصول الموت فالأنثى هنا تحضر كخلاص شعري من بشاعة النهاية وكفعل موازنة بين الرعب والحنين والمفارقة هنا دلالية أولاً ورمزية ثانياً إذ لا يغيب الشاعر الموت وإنما يدخل إليه ممسوساً بوجه أنثوي وبعينين مفتوحتين من آخر من أحب لتكون شعرية الرحيل الواعي مساحة نزال ينتصر فيها على الموت والزمن الذي يسلبه حياته رغم احساسه بنقل الحزن المحيط به وهو القائل:

في حجرة -أمي- تغني العصافير

وفي سماء عينيها تتجول غيوم حزينة (الياسري، 2021ب، ج. 3، ص. 211)..

من أجل تأكيد الحضور والانتماء يبدأ الشاعر بتكثيف لافت بقوله (في حجرة أمي تغني العصافير) في استعارة (العصافير) للتعبير عن الحنان والأمان إلا إنه سريعاً ما يخيب ظناً بـ (في سماء عينيها تتجول الغيوم) ليندب الغياب وهذا يوحي بزمن داخلي ثقل فإن الحزن يتنقل في عين الأم ولا يستقر لتمثل لنا الحياة بشقيها تغني وتؤلم في الوقت ذاته فهي ذاكرة صوتية بصرية وتجسيدا حسياً لمعاناة الذات الشاعرة بين ذاكرة الحنان والخذلان في آن معاً.

لا أريد أن أموت قبل أن أقابلها

كوني شفيعتي -يا أمي- (الياسري، 2021ب، ج. 3، ص. 210)..

إن حالة الخوف من الموت تؤكد مرة أخرى درامية المناخ الشعري في قصائد الياسري وهو مناخ الفقدان والتشظي لا بكونه فعلاً حتمياً إنما هو فعل مؤجل بطلب إنساني (لا أريد أن أموت قبل أن أقابلها) واستعارة أفعال الحنو (كوني شفيعتي -يا أمي-) من فضاء الذكريات الجميلة والحالمة ليؤكد هويته من جهة وصلته وتعلقه بالحياة من جهة أخرى في تحول الأم إلى أيقونة شفاعة ورجاء كقناة نورانية فإن المرأة الموضوع الأكثر خيالية وحضوراً في شعر الياسري وقد عالجه بطريقة تأملية اعتمدت اشكالية الحب والموت كخطين متوازيين حياتياً وشعرياً مع تبادل الأدوار أو تمظهرات الصراع بين الحياة والفعل والانجاز في كفة والموت بكل اشكاله ووسائل الهروب منه أو ابعاده في كفة أخرى غير أن الشاعر يميل إنسانياً وشعرياً إلى رجحان كفة الحب وانتصاره بفعل ما تحمله إنسانيته من عاطفة وطاقة تتحرك



نحو الحياة إلا أن الموت له فعله الضاغط وتهديده القائم فتبقى الحساسية الجدلية قائمة ومنتجة لا سيما في ميدانها الجدلي الحقيقي بين العقل الواعي واللاواعي وبين الذات والآخر حياتيا وشعريا وما هو يقول:

ينام.. أو يواصل الرحيل

يموت.. أو ينهض من ترابه

متوجا بالكفن الرث.. وبالوحد

فأنت آخر البحيرات التي يغمر فيها إرثه الثقيل

وأنت من يمنحه النشور والقيامة (الياسري، 2021، ج. 1، ص. 104)..

ينتقل الفعل بين السكون والغياب (ينام، يموت) والحركة والحضور (يواصل، ينهض) يفتح المنطق الشعري الرؤيوي للنص على أفعال التغيير والعطاء (يقمر، يمنح) لتضج لغة المقطع بالحياة وهو يخاطب أنثاء خطابا مباشرا بلغة سرديّة مكثفة في بناء فني واسلوب شعري يتوافر على الثنائيات المتضادة (ينام/ يواصل) و (يموت/ ينهض) وإيقاع الفكرة وإيقاع التكرار المؤكد (أنت) ومن الطريف إن هذا المقطع يمكن أن نعهده قصة قصيرة جدا تنهض على إيقاع الشعر ويمكن معاينته بوصفه نصا شعريا يقوم على لغة السرد.

وهكذا يمكن القول إن المرأة هنا في شعر الياسري هي نقطة انعطاف وتغيير من مرحلة ساكنة رغم كل ما فيها من ضجيج وفقدان وتشظي (مرحلة ما قبل المرأة) إلى مرحلة تضج بالحب والحركة والعطاء (مرحلة وجود المرأة) لتحدث الموازنة الحياتية بين ما قبل وما بعد ليستقر الزمن بفلسفته على مستوى الفكرة والتعبير الشعري.

### ثانيا: مفهوم الوعي الخارجي ودلالاته:

يمثل الوعي الخارجي ادراك الشاعر للعالم والبيئة المحيطة به كالمكان والطبيعة والواقع الاجتماعي والسياسي في تفاعله المستمر مع ذاته وقضايا مجتمعه فيتحوّل الشعر بذلك إلى وثيقة سرديّة لقراءة الواقع الاجتماعي والسياسي وهذه حقيقة الأدب لا سيما الشعر ينبي في تفاصيله عن تجربة الذات الشاعرة مع ما يعيشه الشاعر اجتماعيا وسياسيا وتاريخيا وذلك لتأثره المباشر بظروف عصره والتغيرات التي تطرأ على مفصله المختلفة.

- الطبيعة كملاذ ومصدر إلهام:





تتجلى في شعر عيسى حسن الياسري مشاعر الانتماء لوطنه والحنين إلى مرابعه ومراتع طفولته فتصبح الطبيعة جزءاً من تعريف الشاعر بكيئونه إذ يرى في الجنوب وطبيعته الخلاصة الأليفة فردوسه المفقود أو الحلم الذي لا يود أن ينتهي وقد تتنوع هذه المشاعر فالوطن في شعره ليس انتماء جغرافياً فحسب بل هو مجال حيوي يعيد فيه تشكيل ذاته بإشكالية وجودية تقوم على ثنائية (الحضور والغياب، الفخر والخذلان، الأمل واليأس، الحب والغضب) في بنية معقدة تتجاوز المفهوم التقليدي للانتماء وإذا كانت أصول المرجعيات فيما يتعلق بمعنى التجربة هي الأساس الموضوعي الرافد لحركة القصيدة في تجلياتها الفنية والجمالية فإن الذاكرة بممكناتها الاستراتيجية تؤدي دوراً رئيساً وجوهرياً في هذا المضمار على مستوى الاستعادة والتمثيل والفعل والانجاز وهو ما يعبر عن جدل العلاقة الحية والواعية بين الذاكرة والمكان في النص الشعري الذي يتحقق عادة عن طريق الارتباط الوثيق بين الالفاظ واصولها الحسية ومرجعياتها والعلاقات التي تعتمد على التجريد الذهني في تصوراتها الأولى غير إنها علاقة تمس جوهر الذات الشاعرة ولها عظيم الأثر في تكوين هوية الشاعر وتعبيراته الإبداعية ويعد الجنوب بمثابة مرجعية ثقافية وجغرافية غنية في تجربة الشاعر فكثيراً ما يصف الطبيعة الريفية: النهر، الحقول، القصب، الطيور، والنخيل، كعناصر حيوية تشكل ذاكرته وشخصيته، يقول:

في الليالي المقمرة أجلس على ضفة النهر

أتجول - وكلبي - بين المراعي

في البيت أغمس رغيفي بالبلن الرائب

أو بالسّمك الذي أصطاده من النهر

وكثيراً ما أرقص أو أبكي

لأن هناك من ارتحلوا وأخذوا معهم رائحة الخبز

أخذوا معهم ريح الجنوب

وصديق حقولنا المطر (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 37-38)..

إن حضور الطبيعة في الشعر ليس مجرد وصف وإنما هو مرآة خارجية لدخل الذات لذا جاءت الوحدات المؤلفة للقطات التصويرية حيث تتحرك الذات في فضاء مفتوح (ضفة النهر، المراعي، البيت، اللين، السمك) بممكنات حياتية بسيطة تحمي من التشظي الوجودي إلا أنه سرعان ما يبدأ الانكسار فقد أخذ الراحلون معهم معاني الحياة وعلاماتها (رائحة الخبز، ريح الجنوب، المطر) وأظنّها رموزاً للدفع والحنين وهكذا تقعد الذات الشاعرة الحياة رغم اكتمال طقوسها ولا يمر شعور واحد دون أن يجسد





بعنصر من عناصر الطبيعة سواء من موقع المنفى أو من زاوية الذاكرة المصابة بالحنين، وقد يعتمد الياسري إلى تصوير الطبيعة للتعبير عن مرور الزمن وما له من أثر عليه في قوله:  
الزمن الآتي لا يحكمه إلا الخطابون  
فلنتوقف غابات الأرض عن الإنجاب. (الياسري، 2021، ج. 1، ص. 228).

في رؤية احتجاجية دامغة تبادرنا الذات الشاعرة بملاحم فكرية وجودية مغروسة بين حدود الإساءة وإنهيار الحلم فيصبح الخطابون كرمز للدمار مجالا شعريا رحبا للعمل بحرية في فضاء زمكاني (الزمن الآتي لا يحكمه إلا الخطابون) وفي لحظة تهديد خاضعة لهيمنة من لا يجيد سوى الفتك بالجميل على هيئة الخطابين فيجيء النداء الضمني مناهضا للزمن الآتي بموقف احتجاجي قابل لأي فعل مناسب من دون قيود (فلنتوقف) وقابليته على التغيير باتجاه إنتاج شعرية صافية وصاخبة في الوقت ذاته (فلنتوقف غابات الأرض عن الإنجاب) مستعينا بثنائية (الخطابون/ الغابات) وإعادة إنتاج موقف وجودي من الزمن الآتي ورمزية قوية في نقد الواقع المجحف إذ يسخر الزمن ليد الخطابين وهذا يشير إلى زمن قادم تحكمه القوى الظالمة المدمرة مما يعكس وعيا شعريا هائلا.

ونجد أيضا أن الذات الشاعرة لا تكتفي بوصف الطبيعة ومشاهد من الريف إذ يجعل العناصر الطبيعية (الماء، التراب، الغيوم، الفجر، الرغبة) ذاكرة حية تحمل لنا في أعطافها ماضي الشاعر وما يكابده من حنين وهويته المنفية ففي شعر الياسري كثيرا ما ترتبط الطبيعة بوصفها حاضنة للذاكرة ويصبح البعد الزمني بوصفه وعاء اشكاليا مرتبطا بالحنين والفقد مليئا بالذكريات فيسود التوتر بين الماضي والحاضر، وكثيرا ما يذكر الياسري في منفاه الأماكن التي عاش فيها لتظهر في شعره كمراكز للذاكرة المفقودة، حيث تُصور كأماكن حلمية لم يعد الوصول إليها ممكناً.

الأصدقاء الطيبون..

هل تذكر أصدقاءنا الطيبين " يا يوحنا"

أصدقاءنا الذين كانوا يجلسون معنا في مقهى " زابر شنون"

ويرافقوننا الطريق..

من السوق الكبير في "العمارة"

وحتى مكتبتها العامة..؟ (الياسري، 2021، ج. 2، ص. 80)..

المعمار الذاكراتي الذي تشيده اللقطات من وحي الأمكنة (مقهى زابر شنون، السوق الكبير في العمارة، وحتى مكتبتها العامة) إنما يسهم في دعم حركة الراهن ومن المعلوم أن الأسئلة تمثل عنصرا





حواريا سرديا إذ تتطلب إجابة ما وهي تتوجه إلى الذات / الآخر وتحيل في جوهرها العميق إلى الأنوية لاستيعاب الخارج على نحو أمثل فهي ليست اشارات عابرة إنما علامات جغرافية لزمن إنساني مضى كان الشاعر فيه جزءا من نسيجه الحميمي وبين المكان والذاكرة يختق صوت الذات الشاعرة (هل تذكر أصدقاءنا يا يوحنا) في استفهام يخلو من البراءة اللغوية إذ ينطوي على إدراك مأساوي يفقد الزمن الجميل وتحول الأصدقاء الطيبين إلى ظلال في ذاكرة تتواري ثم تتورط الطرقات (يرافقونا الطريق..) في عملية الفقد رغم احساسه بأنها لا تزال موجودة وتشغل المسافة البيضاء بين الجمل عملا شعريا خفيا يوهم بالفراغ ولكنه مملوء بالحنين والصمت الممتلئ بالمعنى وكأن البياض هنا لا يفصل بين الجمل فهو يربطها عبر احساس داخلي فتتحول المسافة البيضاء إلى أداة جمالية لاسترجاع ما لم يعد يسترجع وتحول المدينة (العمارة) إلى (العمارة الحلم) مدينة الصداقة والألفة والمكتبة التي لم يعد الوصول إليها ممكنا إلا عبر نداء مبلل بالأسى موجه إلى (يوحنا) بوصفه شريك الذاكرة الفردية والجمعية ليتركنا بعد رحلة روحية تتشابك فيها الصداقة والمكان والانتماء أمام علامة استفهام كبيرة (؟) وهي علامة على استمرار الأسئلة والبحث وتمنحنا خاتمة مفتوحة قائمة على التيه والفقد. وهي قطيعة نفسية وشعورية تجعل نصوصه تتحرك ضمن دائرة الحضور والغياب في قلق وجودي يتأمل مسألة الهوية في علاقتها بالمكان والزمان.

سأنفض كل البرد الذي كدسته في عنابر جسدي

وسهر ليلي الطويل

وأطلب من شقيقتي - حامدة - أن تصلي

حتى توقد مصباحا في منزل روحي

ومن فاطمة - أن تغرس شتلات من ضحكاتها المرحه

في أثلام كآبتي. (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 71).

يستعيد هذا النص الزمن الماضي لا لكونه مرحلة زمنية وإنما بوصفه موردا للنجاة وملادا للذات وهنا الجسد (سأنفض كل البرد الذي كدسته في عنابر جسدي) يقدم على أنه مخزن ومستودع للألم إذ إن كلمة عنابر تمنح الجسد طابعا معماريا / سجنيا وكأن البرد حبس فيه على مدى سنوات التيه والانطفاء وهو يبحث عن الخلاص إذ يتوسل الروابط الإنسانية الحميمية الأختان حامدة" الحضور الايماني" وفاطمة "نقيض الكآبة" الأسماء هنا ليست مجرد عناصر سيرة أو كائنين عابرين إنما كرمزين ل(الدفع، والضوء، والضحك) فحامدة تستدعي كي تصلي وتوقد النور في منزل الروح لا الجسد بينما





فاطمة ترجى كي تزرع ضحكاتها في أثلام الكآبة والنداء هنا نداء داخلي حميم يفكك وحشة العالم عبر الأنثى القريبة بوصفها جزءاً أصيلاً من نسج الروح فيأتي الانتماء العائلي وظيفياً وانتماء وجدانياً تصبح فيه العائلة علاجاً وجودياً والأسماء تتحول إلى أيقونات ذاكرية لتؤدي دوراً في إعادة إشعال الذات وكشبكة وجدانية تنفذ الذات من التلاشي.

ونستخلص هنا إذا كان الوعي الداخلي في سيرته الشعرية يتجلى في التأمل الشفيف واستبطان الذات فإن الوعي الخارجي يظهر بوساطة إعادة تشكيل الذاكرة والهوية وقراءة المكان والطبيعة بعناصرها المختلفة في حضور زمني تحكمه ثنائية الفقد والاستعادة فإن السيرة الذاتية في شعر عيسى حسن الياسري ليست مجرد استعادة لحياته الشخصية، فلهي تسجيل لارتباط شعره بالمكان، ومعاناته مع الاغتراب، وتوقه الدائم إلى جذوره الجنوبية، مما يجعله صوتاً شعرياً فريداً في الأدب العراقي.

- الوعي الاجتماعي والسياسي في شعر الياسري:

في تجربة الشاعر الياسري لا يكون الشعر تعبيراً عن الذات فقط وإنما هو نافذة يطل منها على قضايا مجتمعه متفاعلاً معها لإضاءة تناقضاته الداخلية فيتجاوز الذاتية إلى الجمعية في تشكيل الرؤية الشعرية ولطالما كان الشعر سلاحاً في مواجهة الاستبداد والظلم وحين يكون وعي الشاعر مأساوياً إذ يرى التغيير مستحيل يتحول النص إلى مرثية، كقول شاعرنا:

كم هو شاسع وعميق قلبك يا بلدي

يحزنني أن أرى أكثر الأزمنة بشاعة تختطف من يدك الرغبة

وأكثر الجيف نتانة

تتخذ مجلسها فوق مرجة صدرك الحنون (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 243)..

في سخط وجودي على الزمن الراهن الخائن وبلغة رمزية باذخة ووعي اجتماعي سياسي محتدم وحزن لا يمكنني أن أصفه بالاستسلام وإنما هو موقف وتشخيص لانكسار البنية القيمية في المجتمع عبر رؤية شعرية تجمع بين الأسى والمقاومة وبلغة هجائية وصورة عبثية إذ تمتلك هذه الجملة الشعرية (كم هو شاسع وعميق قلبك يا بلدي) شحنة دلالية مكثفة تنهض على تمازج الرؤية المشحونة بالاستفهام والتمثيل الشعري (أكثر الأزمنة بشاعة، الجيف النتنة، مرجة الصدر الحنون) بلغة مشبعة بالمجازات التي نقض الواقع ولا تتوارى خلف البلاغة لتمثل حالة الوعي بالمأساة (يحزنني أن أرى...) فإن الشاعر يملك وعياً رؤيويًا غاضباً على زمن ضامر وبشع وسارق والرغبة هنا إشارة للحياة ورمز للعدالة والكرامة وتتحول المفارقة الشعرية إلى مشهد صادم (وأكثر الجيف نتانة تتخذ مجلسها..) فيصير الوطن رغم





اتساعه وعطفه ساحة مفتوحة للفجائع الأخلاقية وهذا تكشف رمزي لمفارقة اجتماعية/ سياسية إذ لا شيء أكثر مأساوية من أن يعرش الفساد أمكنة الطهر.

ولا يمكن فصل شعر الياسري عن الحروب العراقية المتعاقبة فهي صدمات عميقة تخلخل بنية الوعي الاجتماعي والسياسي وتعيد صياغة مفهوم الهوية والانتماء وتترك آثارها العميقة في بنية الخطاب الفكري والأدبي، والشعر بوصفه خطابا رمزيا يقوم باستيعاب هذه التغيرات وإعادة صياغتها وانتاجها على شكل انزياحات واستعارات فيصبح شاهدا على هذه التحولات التي تمس بنية الإدراك الجمعي وهو يسعى إلى تفكيك خطاب السلطة وبناء وعي جديد بعيدا عن إرث الخراب والدمار.

لقد وقعت حروب وحشية

حرائق بدخان خانق

وداعات لا تحصى..

ودائما أجد نافذة

تطل على زقاق يلعب فيه أطفال مرحون

ويقطعه مارة ما زالوا يحتفظون بأقدامهم

فأنتهد.. كفلاح أنقذ حقله من الغرق. (الياسري، 2021، ج. 2، ص. 46).

من عمق الذات المسلوبة والمتقوبة بالخراب يكتب لنا الشاعر الحرب، فالقصيدة لا تتقل الحرب كحدث سياسي وإنما كقدر شعري أجبرت عليه الذات، تتذوقه في تفاصيلها اليومية وتكتبه بلغة رمزية مشبعة بالايحاء والارتجاف (لقد وقعت حروب وحشية/ حرائق بدخان خانق/ وداعات لا تحصى) هذه الجملة الثلاثية الأبعاد تشتغل على مستوى الاختناق الرمزي وفقدان المساحة النفسية للحياة وتمثل تنبيها لحضور الحرب داخل بنية النص بوصفها الخلفية القاسية والخانقة للمشهد الانساني، فالحرب لا تأتي مفردة إنما تتكاثر عبر تأثيراتها "الحرائق، الدخان، الوداعات" وما يترتب عليها من فقد، وتمزق، ونهايات بلا وداع (ودائما أجد نافذة..) إن هذه الجملة تمنح أملا صغيرا لمقاومة المشهد الدموي الكبير بوساطة "نافذة الحياة" وسلطانها على " غبار الحرب" بآثارها (مارة ما زالوا يحتفظون بأقدامهم) هذه الصورة الساخرة على الرغم مما توحى به من الأمل لكنه أمل بالغ الألم إذ تفترض أن الاحتفاظ بالأقدام أصبح استثناء بعد أن سلبت الحرب الجسد والهوية لكنها لا تتخلى عن انسانياتها (فأنتهد.. كفلاح أنقذ حقله من الغرق) إذ تحمل التهديد احساسا مؤقتا بالنجاة فهناك مأساة تهدد بشكل مستمر والنجاة منها فعل مؤقت هش لكنه ضروري.





على من لا أهمية لهم من أمثالي

ألا تستغرقهم الأحلام المترفة

علينا أن نقنع أن الأحطاب وظيفتها تغذية الموقد. (الياسري، 2021، ج. 1، ص. 223).

وفي رؤية فلسفية وجودية شعرية يفتتح النص بنبرته الاعترافية الموجوعة تعلن فيها الذات قدرية المأساة واستمرارها بوساطة شعورها العميق بالتلاشي الوجودي إذ تقول (على من لا أهمية لهم من أمثالي) تتجلى بنية التمرکز حول الذات المهمشة التي لا تجد لها مكانا في معادلة الحياة ثم يأتي فعل (ألا تستغرقهم الأحلام المترفة) لتعرض لنا إشكالية الحق في الحلم وهي إشكالية وجودية وامتنياز لا يمنح إلا للمترفين ومن يملكون السلطة بعيدا عن المهمشين والفقراء (علينا أن نقنع أن الأحطاب وظيفتها تغذية الموقد) تأتي هذه الجملة لتقلب الدلالة الوظيفية للكائن المهمش لتصبح وظيفته الحقيقية هي الحريق لتدفئة الآخرين لتشكل ذروة التشييء والاغتراب في تنازله عن حقه في الحياة ويتحول النص إلى مرآة قلق وجودي واجتماعي حاد تستدعي فيه اللغة مجازاتها ليحوّل المفردات اليومية (الأحطاب، الموقد) إلى صور شعرية تحفر عميقا في قلب المعنى لتعبرية الواقع عبر صور موجوعة لا تملك رفاهية التأويل الفلسفي بقدر ما تتزف الحقائق من لحمها الحي.

ونستخلص مما سبق أن الياسري يتمتع بوعي اجتماعي وسياسي حاد تجلّى بشكل واضح في تعامله مع الأمكنة ولا سيما الجنوب كرمز للعطاء والصمود والمقاومة وتصويره عناصر الطبيعة إذ يعد جزءاً أساسياً من عالمه الشعري الذي يمتزج فيه الجمال الطبيعي بالواقع الاجتماعي والسياسي، هذه العلاقة بين الشاعر والطبيعة تخلق نصوصاً غنية بالدلالات والمعاني التي تمس كل جوانب الوجود الإنساني ومن أهم عناصر الطبيعة في شعره: (النهر ويعد رمزا للحياة والحنين والزمن المستمر، القصب والسعف ويمثل الصلابة والبساطة والانتماء لأرض الجنوب الغنية والسعف في إشارة إلى تفاصيل الحياة الريفية، الحقول كهوية ثقافية في الارتباط بالأرض والعمل، الريح والشمس ودلالاتهما في التغيير والأمل) وكلها تشكل نظاما أرسيفيا (دريدا، 2001، ص. 89). فالياسري يربطها ارتباطاً وثيقاً بالأبعاد الوجودية والزمانية في حياته، ويجعلها مرآة للوجود البشري والمصير المشترك، فضلا عن صور شعرية تحمل أبعادا اجتماعية في ذكر تفاصيل الحياة اليومية وكيف يفقد الإنسان قيمته حين ينتزع من بيئته وشدة الحنين ووحشة المنفى وبمنحنا قراءة للواقع السياسي وعيشية التضحيات وقدرية المأساة ولعنة الثروات التي لا تمنح الحياة وهكذا يشكل هذا الوعي موقفا شعريا وتجربة حية عبر ذاكرة تقاوم النسيان.





### ثالثا: الوعي النصي – الانزياحات الجمالية وآليات التفكير:

إن النص بنية لغوية وجمالية دلالية تتشكل وفق رؤية الشاعر للعلاقة بين اللغة والصورة والايقاع لذا فإن الوعي النصي هو قدرة الشاعر على تشكيل نصه بوصفه بنية ديناميكية لا مغلقة وجعله متفاعلا مع سياقه دون أن يكون محكوما به وهذا ما يجعله نصا يمتلك استقلاليته وما يمكن أن يحدثه داخل التجربة الابداعية والتلقي الجمالي فتصبح بذلك الطاقة الابداعية والتصويرية أقوى من الوظيفة التوصيلية. والوعي النصي في شعر الياسري يعكس التماهي بين النص والواقع الذي يمثل تجاربه وذاكرته الفردية والجمعية وإعادة تشكيل هذا الواقع عبر الصورة والرمز والمفارقة التي تؤدي إلى التوتر الدلالي مما يزيد من عمق النص ليخلق فضاء تأويليا مفتوحا ويصبح لكل نص إمكانية جديدة للقراءة والتفسير فضلا عن تداخل تقنيات مثل التكرار والإيقاع التي تسهم في تعميق الاتصال بين النص والحياة، فكل تكرار أو تغيير في الإيقاع يعكس التغيرات التي تحدث في الواقع نفسه. مما يخلق علاقة متكاملة بين الشاعر وعالمه من حوله. وهكذا يمكننا القول إن الوعي النصي هو أسلوب في التفكير والتشكيل الشعري فيكون النص ذاته كائنا حيا يتفاعل مع القارئ ويتجاوز زمانه ومكانه ليظل متجددا في كل قراءة جديدة.

- اللغة كوسيلة لتشكيل الهوية:

إن اللغة هي المرأة التي تعكس الوعي النصي والذاكرة والهوية والانتماء والتحويلات الثقافية وتصنعها أيضا بوساطة التلاعب اللغوي والصوري والايقاعي إذ يستحضر الشاعر هويته الثقافية والتاريخية ويعيد تشكيلها داخل فضاء النص فتصبح اللغة وسيلته للحفاظ على هويته من الطمس والتهميش.

دائما أحمل بيدي زهرة

ومتى ما أقرأ شطرا من الشعر كتبه شاعر من أجل شرف الحياة

أضع زهرتي عند موطئ قدمه (الياسري، 2021، د. ج. 3، ص. 234)..

نحن أمام نص تتجلى فيه الهوية الشعرية للذات الشاعرة إذ يتداخل الحس الجمالي مع الحس الوجودي وتتعكس اللغة كبنية حساسة لتشكيل وعي الذات وبناء موقفها من العالم وهي تتحرك في فضاء الزمن والمكان واللغة ويبدأ النص فعله القرائي والانفعالي والأخلاقي بحركة رمزية (دائما أحمل بيدي زهرة) وهي حركة تتكرر دلاليا تحمل طابع الاستعداد المستمر للانفعال الجمالي بما يجعل الزهرة علامة سيميائية على الحضور الإنساني المتلقي للجمال والمحتفظ به لمواجهة القبح اليومي ويمنحه أيضا يظهر لنا الشاعر بصورة القارئ الممتلئ بالانفعال الوجودي تجاه اللغة فتتشكل هويته من فعل القراءة





والتلقي (ومتى ما أقرأ شطرا من الشعر كتبه الشاعر من أجل شرف الحياة) إن عبارة شرف الحياة هي إشارة إلى قيم وجودية عليا (الكرامة، الجمال، الحرية، النقاء) وهكذا ينتصر الشاعر/ القارئ/ الكاتب للوجود الإنساني بتكريمه اللغة (أضع زهرتي عند موطن قدمه) في إيماء شعرية عالية تنقل الاحترام إلى مستوى طقسي رمزي تتحول فيه الكتابة إلى حقل أخلاقي والقراءة إلى انحياز معرفي-جمالي نحو المعنى الإنساني للغة وهكذا يصبح النص تجليا لهوية وجودية تحفر في اللغة لتستنتق قيمها وتعيد تشكيل الذات بوساطة أثر الشعر فيها فالشعر مكاشفة الذات أمام قلقها وسؤالها ومعناها.

وحتى أدون هذي الموسيقى

اتجهت إليك أيتها اللغة الحنونة

يا لغة شعبي المحملة بالشجن.. والحنين.. والتهنئات. (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 78).

حين تمسك أنا الشاعر بزمام المبادرة الشعرية فإنها تتحول إلى راو أسطوري يتلاعب بمقدرات الحكاية الشعرية لاحتمال ولادات صورية شعرية مشحونة بالوجد والافتتان باللغة وقد بنى فيه الشاعر عالما من الايحاءات التي تمنح اللغة دورا عاطفيا وجوديا كثيفا حتى لتغدو كائنا نابضا بالعاطفة قادرا على احتضان الشاعر في لحظة البوح والكتابة فيفتتح الشاعر نصه بصورة تمهيدية (وحتى أدون هذي الموسيقى) تقيم علاقة بين الكتابة والموسيقى وهي علاقة تحول النص إلى لحظة عزف داخل اللغة وتبدأ الذات من لحظة الانصات الداخلي لتجعل الكتابة نفسها عملية سماعية وجدانية والموسيقى هنا موسيقى الروح والبوح الداخلي والايقاع المتأني من انفعالات الذات العميقة فهي ترميز للحساسية الجمالية الكامنة في التجربة إنها تريد ترجمة الشعور إلى نغم والنغم إلى كتابة وهذا ما يؤسس صورة الكتابة كمجال للإنقاذ والتطهير (اتجهت إليك أيتها اللغة الحنونة) في هذه الصورة الشعرية تشخص اللغة وترفع من مجرد أداة تعبير إلى كائن أنثوي حنون يحتضن ذات الشاعر الموجوعة بحثا عن الأمان والتواطؤ الوجداني هذه المفارقة ترفع مستوى اللغة من التقنية إلى الملاذ ومن الوسيط إلى الرفيق وهي صورة ذكية تفكك البعد الصلب للغة وتحولها إلى كائن يتماهى مع الذات الهشة في علاقة وجودية بالقول (يا لغة شعبي المحملة بالشجن.. والحنين.. والتهنئات) هنا تتحقق الذروة الصورية (الشجن، الحنين، التهنئات) إنها سلسلة من الانفعالات التصاعدية تنتهي كلها إلى حقل الحزن والمقاومة الصامتة وهذه الصورة شديدة الشعرية تجعل من اللغة وعاء للذاكرة الجمعية وللانكسارات الجميلة مما يعزز علاقة الذات باللغة بوصفها كيانا وجدانيا تعيد بوساطتها تشكيل هويتها وتتوسل بها الحضور في لحظة الكتابة إذ يصبح الشعر فعل إنقاذ للروح وفعل انتماء للحنين.





ونخلص إلى القول إن الصور الشعرية في هذا النص تعمل بوظيفة وجدانية -هوياتية فهي تحت شعور الذات حيال اللغة وتمنحها أبعادا عاطفية وذاكرية تجعلها كيانا عاطفيا تنمهي فيه الذات الباحثة لتنتج بوساطتها كتابة تتوسل الخلاص بالجمال.

-تدمير ثنائيات اللغة كأداة للتمرد:

يعتمد الياسري على تفكيك الثنائيات (الوطن، المنفى، الذاكرة، النسيان) عبر لغة تحول التناقضات الى وحدة جمالية ففي نص " حصاد " يكتب:

حضر موسم الحصاد

القمح هو من غاب عن الحضور (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 213)..

يشتغل هذا النص على هندسة الصمت أكثر من بناء الفصاحة ويستثمر الفجوة بين الحضور والغياب لتوليد احتجاج مكثف يتقاطع مع خطاب القهر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لكن دون الوقوع في المباشرة او التقريرية إذ يشكل نموذجا بليغا لما يمكن تسميته بتفكيك ثنائية اللغة / الواقع، أو الحضور/ الغياب بوصفها أداة رمزية للتمرد عبر التلاعب بالعبرة واختراق التوقع وهو نص يكشف عن قدرة عالية على تدمير سلطة اللغة التقليدية عبر بناء المفارقة واستثمار الغياب بوصفه فعلا أقوى من الحضور مما يجعله مفتاحا نقديا لمفهوم التمرد الصامت فإن اللغة في النص الشعري تتجاوز وظيفتها التواصلية إلى جعلها حقلا للصراع الرمزي البليغ (حضر موسم الحصاد / القمح هو من غاب عن الحضور) إنه تفكيك مدھش لمعادلة البلاغة الشعرية التقليدية بحضور الطقس وغياب جوهره والكتابة ضد ما ينتظره المتلقي أو ما يسمى كسر التوقع النصي وتحول اللغة الى اداة لكشف خيانة الواقع وتشريحه والتنديد به من دون خطابية مباشرة تعمل كطاقة سردية فاعلة تنتج المعنى عبر ما لا يقال وبوساطة اختلال الصورة التقليدية فحين يحضر الحصاد ولا يحضر القمح فإن الشاعر يدين العالم لا بصرخة بل نقص المفردة بفرغ المعنى بغياب الرمز الأساسي للوفرة والكرامة.

إن هذا النوع من الكتابة يعيد تشكيل العلاقة بين الدال والمدلول على اساس الافتقار المقصود اي ان النقص يصبح عنصرا جماليا مقصودا يغني الدلالة لا يفقرها وبهذا يصبح النص نموذجا لما يمكن تسميته باللغة المفارقة كأداة للتمرد الصامت والسرد الناقص كبلغة جديدة.

المطر يتساقط بغزارة

صحارى قلبي وحدها تجلس بعيدا عن مائدته. (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 213).





إن المسافة بين اللغة والعاطفة خرائط جديدة ترسم داخل النص بلغة تحتج وتشير وتتسحب من البلاغة المعتادة لتبني معناها من النفي والتناقض وهذا النص بتكوينه المكثف وصوره المتوترة التي تمثل التمرد العاطفي الهادئ بوساطة تفكيك العلاقة بين الظاهرة الطبيعية والانفعال الداخلي إذ يعيد الشاعر رسم ثنائية المطر/ الجفاف على نحو يفصح انفصال الذات الوجدانية عن العالم ويوظف الصورة الشعرية بوصفها احتجاجاً ضمناً على عزلة القلب وسط وفرة الخارج (المطر يتساقط بغزارة/ صحارى قلبي وحدها تجلس بعيداً عن مائدته) هنا يقدم الشاعر مطراً بلا أثر بلا حياة كأن الطبيعة تقيم طقساً كونياً للتجدد غير أن القلب بعيد عن هذه المائدة الكونية إنها صورة مقلوبة صادمة تجرد المطر من رمزيته الإيجابية وتمنحه بعداً ميتافيزيقياً قاسياً وسلبياً وهذا ما يحول النص إلى لحظة كشف عن التهميش الداخلي، عن العاطفة المهمشة، عن الذات المنفية من موسم الحياة.

#### -التكرار كآلية لإعادة بناء الذاكرة:

إن التكرار بوصفه استراتيجية نصية تعمل على ترسيخ التجربة الشعرية وإعادة انتاجها داخل فضاء الوعي وتفتح على احتمالات جديدة استخدمه الياسري لتأكيد الأفكار المركزية في قصائده، مثل الشعور بالاغتراب والحنين، أو القهر السياسي والاجتماعي، أو الأمل في التغيير، والتكرار في حقيقته فعل ابداعي يقوم على التعديل والاضافة والانزياح الدلالي وقد يعيد الشاعر استخدام بعض الكلمات أو العبارات لتضخيم الإحساس بالعزلة أو الألم، مما يجعل القارئ يشعر بعمق الفكرة التي يعبر عنها الشاعر من جهة ويخلق إيقاعاً داخلياً في النص من جهة أخرى:

لأنني لم أزرع غابة

لم أبني بيتاً

لم أحصل على بوصة في منزل الخالدين

إذن لا أحد يرغب باستنساخ طريقي (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 52) ..

إن التكرار في النص الشعري يجب أن يقرأ كبنية قصدية تعيد تشييد الهوية في مواجهة النسيان والتغيب وفي هذا النص يتكرر حرف النفي "لم" (لأنني لم أزرع غابة/ لم أبني بيتاً/ لم أحصل على بوصة في منزل الخالدين) هذا التتابع في النفي يؤسس لذاكرة عكسية أي إنه يرسم هوية الذات بوساطة ما لم تفعله نتيجة الاقصاء وعدم المشاركة وهنا تتحول الذاكرة إلى ذاكرة مبنية على غياب الفعل، غياب





الامتلاك، غياب الحضور في سجل الخلود، وفي هذا السياق يشتغل التكرار على تقويض فكرة السرديات البطولية لينتج خطابا شعريا رافضا يحتج على التهميش بوساطة كسر المعايير السائدة للخلود ويعلن تأسيس ذات مفارقة تختار أن تكون خارج الرواية الرسمية ثم تأتي الجملة الختامية (إذن لا أحد يرغب باستنساخ طريقي) وهنا تظهر المفارقة فالتكرار الذي صنع ذاكرة الغياب أصبح في ذاته علامة حضور خاص، تفرد شعري لا يمكن نسخه لقد بنى الشاعر من الإقصاء مشروعا وجوديا يتفوق على النموذج، وبالتالي فإن هذا النص بتركيبته اللغوية المكثفة ونبرته الوجودية المتشظية يعمل على مساءلة الذات في علاقتها بالمكان والذاكرة والمصير ويعيد عبر آلية التكرار بناء خطاب شعري لا يكرس المعنى بقدر ما يعلق السؤال ويؤسس لحضور الذات المهمشة في صمت اللغة ومفارقة الزمن ويتحول التكرار من عنصر بلاغي إلى بنية شعرية مقاومة يشتغل على إعادة تشكيل اللغة كذاكرة مضادة وهوية مفارقة ورفض ضمني للاندماج في سرديات الجموع.

وقد نجد الياسري يكرر مفردات مثل "الطين، السواقي، العشب، النهر، النخل، الحقول" كحبال نصية تربط أجزاء السيرة الشعرية.

سأبكيك الليلة طويلا

طويلا سأبكيك الليلة (الياسري، 2021، ج. 3، ص. 118)..

حين يستعمل التكرار كأداة شعرية فاعلة في بناء العاطفة وتكثيف التجربة الوجدانية يعاد اللفظ لإعادة تشكيل الاحساس ولاضفاء بعد شعري لا يتحقق إلا بوساطة الموسيقى الشعرية التي يولدها التكرار صوتيا ودلاليا فيتحوّل البكاء إلى طقس من طقوس الاحتجاج والحداد الداخلي (سأبكيك الليلة طويلا / طويلا سأبكيك الليلة) إن التكرار هنا يعمل على خلق موجتين متوازيتين فالبكاء يأتي بوصفه وعدا شعوريا في الأولى وفي الثانية يتحول إلى قدر شعري محتوم و "طويلا" تكرر لتوسيع مدى الحزن وجعله ممتدا يتجاوز طاقة اللحظة وهذا التكرار الزمني ينقل المعنى من حدوده العاطفية إلى أفق الميتافيزيقا الشعرية إذ يصبح الزمن ذاته جزء من الحزن وهو تكرار يعمل على بناء إيقاع داخلي يُمكن اللغة من أن تصبح بديلا عن الجسد في التعبير عن الفقد فهو يعيد تدوير المعنى داخل اللغة ويعطي للذات الشعرية القدرة على قول ما لا يمكن قوله مرة واحدة فالبكاء لا يقال دفعة واحدة بل يستعاد، يردد، يطوّل... لأن الحزن في مثل هذا المقام لا يختصر، وبذلك يتحول التكرار من تقنية بلاغية إلى أسلوب عيش داخل اللغة، ومن حالة عاطفية إلى استراتيجية وجودية تتعامل مع الغياب كقدر شعري لا فكاك منه.





وبهذا تتجلى نصوص عيسى حسن الياسري كصرخة وجودية بين الانتماء والخذلان وهو يحاول إعادة تشكيل صوته على مستويات الوعي الداخلي والخارجي والنصي بشكل متكامل فإن الوعي الخارجي يُظهر ارتباطه بالمكان والبيئة، والوعي الداخلي يعكس تجربته الفردية وصراعاته النفسية، أما الوعي النصي فيبرز بوساطة البناء الفني الذي يدمج بين البساطة والرمزية، هذه الأبعاد تجعل من شعره تجربة إنسانية وشعرية فريدة فإن قصائده تمثيلات لتجارب ذاتية أو جماعية وهي نصوص واعية بطبيعتها، تعمل على تحقيق الانسجام بين الشكل الفني والرسالة الشعرية بما يمتلكه من حس عميق ببنية النص وقدرته على نقل تجربة إنسانية واسعة النطاق.

### الخاتمة نحو شعرية كونية:

في ضوء القراءة الاستقصائية التي نهضت بها هذه الدراسة اتضح أن شعر عيسى حسن الياسري يعد خطاباً شعرياً يحمل بصمات ذات متذكّرة في بنية سيرية شعرية مركّبة تتشكل فيها الذات من داخل اللغة وتعاد صياغتها عبر التجربة الشعورية وتستعاد ملامحها بين شقوق الغياب والتشظي والحنين والاغتراب، ولقد عاينت هذه الدراسة اشتغال الياسري على تدوين ذاته بوصفها سيرة خارجية تسرد الوقائع وكذات تتخلق داخل النص وتكتب عبر تقنيات أسلوبية بلاغية أبرزها التكرار والصورة الشعرية والنداء والاستفهام والمفارقة وهذه الأدوات كلها تنضوي داخل ما يمكن تسميته ببلاغة الوعي الشعري تلك التي تمنح التجربة قوامها الشعري وتحول الألم إلى قصيدة والغياب إلى مجاز والمكان إلى مرآة تضيء ملامح الانتماء إذ تتبدى السيرة الذاتية الشعرية عند عيسى حسن الياسري بوصفها محاولة دؤوبة لإعادة بناء الذات بوساطة اللغة في زمن تتفكك فيه المعاني وتصاب الهويات بالوهن فاللغة هنا فعل وجودي تتشكل فيه الذات وتكتب بوساطته تجربتها وكأن الشاعر لا يحيا إلا في الكلمات ولا يتذكر إلا باستعادة اللحظة داخل بنية النص.

هذا الاشتغال الشعري على السيرة الذاتية تجربة لغوية / وجودية تتجلى فيها الذات بوصفها كائناً مشتبكاً مع الزمان والمكان والجسد والمقدس والمعيش إذ يعاد تشكيل الوعي الفردي عبر استنطاق الذاكرة واستحضار الطفولة وتأثير النص بعناصر الحياة اليومية وجعل الجسد نصاً ثانوياً يعبر عن الوجد أو الاغتراب أو الانتماء أو الحنين وهذه الرؤية تمكّن القارئ من استيعاب تجربة الشاعر بوصفها رؤية شعرية للوجود لا مجرد سرد لسيرة ماضٍ منته.





وهكذا يتضح أن السيرة الذاتية الشعرية في تجربة عيسى حسن الياسري هي شكل من أشكال مقاومة النسيان ومواجهة الحرب وترميم الوعي المنكسر وهي فضاء تعبيرية يعيد فيه الشاعر تشكيل ذاته عبر مرآة التجربة ومسارات اللغة ودهشة الصور الشعرية في محاولة لاستنقاذ ما تبقى من المعنى في عالم يتآكل فيه كل شيء.

تمثل السيرة الشعرية لعيسى حسن الياسري نموذجاً للهوية المركبة التي تتشكل عبر الثنائيات (الذات والذاكرة، النص والسياق، الجسد والمكان) ويعدّ شعره نموذجاً حياً لتجسيد الهوية والبوح الذاتي، إذ تُظهر نصوصه رحلةً من التفكك والانبطار الذاتي عبر تداخل الوعي الداخلي (الذي يعكس الصراع النفسي والبحث عن الذات)، مع الوعي الخارجي (الواقع الاجتماعي والسياسي الذي يؤثر في الهوية)، وتوظيف الوعي النصي (الذي يشكل البنية الفنية للقصيدة).

إن هذا التداخل يُعدّ من السمات المميزة لخطاب الياسري، إذ تتجلى عبقريته في تحويل السيرة الشعرية إلى مختبر للهويات إذ تتفاعل الذاكرة الفردية مع الوعي الجمعي عبر لغة تعيد تعريف الثابت فإن قصيدته تعدّ خطاباً نقدياً يعكس أزمات الإنسان العربي في مواجهة العالم.

ويمكننا القول إن الياسري استطاع أن يُبدع تجربة شعرية متكاملة تُجسد التحديات والآمال في آنٍ واحد، وإن قراءة هذه النصوص تكشف عن رحلة فكرية ونفسية تحمل في طياتها دعوةً مستمرة لإعادة تأمل الهوية والذات في مواجهة متغيرات العصر، فهو يخلق نصوصاً شعرية غنية تُعبّر عن الهوية بعمق.

#### قائمة المصادر:

- [1] أبو عواد، إبراهيم. (2010). مدخل إلى علم اجتماع القصيدة (ط. 1). دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
- [2] أدهم، علي. (1979). على هامش الأدب والنقد. دار المعارف.
- [3] الخاقاني، نوفل شاكر. (2013). أشكال التعبير في شعر مظفر النواب (ط. 1). دار الشؤون الثقافية العامة.
- [4] دريدا، جاك. (2001). حمى الأرشيف: انطباع فرويدي (حسن حجازي، ترجمة). المركز الثقافي العربي.
- [5] الصكر، حاتم. (1999). مرايا نرسييس: الأنماط النوعية والتشكيلات البنائية لقصيدة السرد





- [6] الحديثة (ط. 1). المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.  
صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية (المجلد الأول، ط. 1). دار الكتاب اللبناني.
- [7] عبد النور، جبور. (1984). المعجم الأدبي (ط. 1). دار العلم.
- [8] عبيد، محمد صابر. (1999). السيرة الذاتية الشعرية: قراءة في التجربة السيرية لشعراء الحداثة العربية. دائرة الثقافة والإعلام.
- [9] عبيد، محمد صابر. (2012). المغامرة الجمالية للنص الأدبي: دراسة موسوعية (ط. 1). الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان؛ مكتبة لبنان ناشرون.
- [10] غالي، وائل. (1998). معرفية النص. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- [11] فتوح، محمد أحمد. (2006). جدليات النص الأدبي (ط. 1). دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- [12] فهمي، ماهر حسن. (1983). السيرة تاريخ وفن (ط. 2). دار القلم.
- [13] قطب، سيد. (د.ت.). مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر. دار الشرق.
- [14] كليب، سعد الدين. (1997). وعي الحداثة: دراسات جمالية في الحداثة الشعرية. مطبعة اتحاد الكتاب العرب.
- [15] منصور، خيري. (1986). تجارب في القراءة (سلسلة الموسوعة الصغيرة، 272). دار الشؤون الثقافية العامة.
- [16] الياسري، عيسى حسن. (2021أ). أكاذيب أحلام الصباح. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 3، ط. 1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- [17] الياسري، عيسى حسن. (2021ب). بتلات قصائد قصيرة. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 3). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- [18] الياسري، عيسى حسن. (2021ج). صمت الأكواخ. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 1، ط. 2). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- [19] الياسري، عيسى حسن. (2021د). فصول من رحلة طائر الجنوب. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 1). المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- [20] الياسري، عيسى حسن. (2021هـ). المرأة مملكتي. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد





- [1]. المؤسسة العربية للدراسات والنشر .  
[21] الياسري، عيسى حسن. (2021و). ما لم تقله الغيمة. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 3). المؤسسة العربية للدراسات والنشر .  
[22] الياسري، عيسى حسن. (2021ز). ما يمكث على الأرض. ضمن الأعمال الشعرية الكاملة (المجلد 2، ط. 2). المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

